

المجلد: 07 / العدد: 02 / ديسمبر (2023)، ص.ص. 56-63

الجهود اللغوية للأستاذ عمار ساسي وأثرها في خدمة الدرس القرآني

The linguistic efforts of Professor Ammar Sassi and their effect on the Quranic lesson.

مريم نويوة.

n.meriem@univ-blida2.dz

جامعة البليدة 2 لويس علي

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/12/02

تاريخ القبول: 2023/10/08

تاريخ الاستلام: 2022/09/04

ملخص:

إنّ الأساس الأولي الذي احتضن الدراسة اللغوية عند العرب هو القرآن الكريم، حيث إنّ الاجتهادات اللغوية عند أسلافنا من العلماء والباحثين جاءت خدمة له وحفاظاً عليه من الزيف والتحريف في المبنى والمعنى، هذا ما شكّل لنا ثنائية تلازمية بين الدرس اللغوي والدرس القرآني على مرّ العصور. ولقد حاولنا من خلال هذا الموضوع التعريف بالإسهامات اللغوية للباحث الجزائري الحديث خدمة للقرآن الكريم وبيان إعجازه، واختارنا نموذجاً لدراستنا الباحث الأستاذ الدكتور عمار ساسي من جامعة البليدة 2، قسم اللغة العربية وآدابها، محاولين الكشف عن أهم إنجازاته في هذا المضمار وبيان المنهج المتبع في أعماله، وأثر ذلك في خدمة الدرس اللغوي القرآني. ولقد توصلنا من خلال بحثنا أنّ الأستاذ عمار ساسي يركّز على ثنائية الدرس اللغوي والدرس القرآني وأنها أهمّ عامل لكشف أسرار القرآن الكريم. كما أنّه استطاع من خلال فكره اللغوي الربط بين الأصالة والمعاصرة، فكان منهجه المتبع في دراسته يستند إلى المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

كلمات مفتاحية: الدرس اللغوي، الدرس القرآني، البلاغة.

Abstract:

The primary basis that embraced the linguistic study of the Arabs is the Holy Qur'an, as the linguistic jurisprudence of our ancestors of scholars and researchers came to serve and preserve it from falsehood and distortion in the building and meaning, this is what constituted us a dualism between the linguistic lesson and the Quranic lesson throughout the ages. Through this topic, we tried to introduce the linguistic contributions to the modern Algerian researcher in the service of the Holy Qur'an and his miracle, and we chose a model for our study, the researcher, Professor Dr. Ammar Sassi, from Blida University 2, Department of Arabic Language and Literature, trying to reveal his most important achievements in this regard and explain the curriculum used in his work, The effect of this on the service of the Quranic Linguistic Linguistics. We have reached through our research that Professor Ammar Sassi focuses on the dual linguistic lesson and the Quranic lesson and that it is the most important factor in revealing the secrets of the Holy Qur'an. Also, through his linguistic idea, he was able to link originality and contemporary, so his method of study was based on the descriptive approach and the historical approach.

Keywords: Linguistic lesson, Quranic lesson, rhetoric.

تمهيد:

إنّه وعلى هدي السلف الصالح من العلماء والباحثين، جاء الارتباط وثيقا بين الدرس اللغوي والدرس القرآني، فكان هذا الأخير وعاءً حاضنا للاجتهاد اللغوي في سبيل فهم القرآن والحفاظ عليه وبيان الإعجاز الإلهي الذي تحدّي جميع المخلوقات إنسا وجنّا على أن يأتوا بمثله فهو القائل عزّ وجلّ في محكم تنزيله: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» سورة الإسراء الآية 88.

وهذا تحدّي صريح بعدم القدرة على الإتيان بمثله، فهو معجزة أبدية خارقة للقدرة الإنسيّة والجنّيّة. والملاحظ على الآية الكريمة أنّ القرآن الكريم لم يخض العرب وحدهم في الإتيان بمثل القرآن وإتّما تحدّي به جميع المخلوقات من إنس وجنّ، هذا ما يعكس القوة في التحدي والإعجاز. وعلى مسار التحول التاريخي تعاقبت الجهود اللغوية خدمة للقرآن الكريم؛ فظهرت التفسيرات التي اهتمت بتأويل خطاب القرآن الكريم فكان حبر الأُمّة عبد الله بن العباس رضي الله عنه ترجمانا للقرآن الكريم وأول مفسر له، ثم ظهرت المؤلفات وتوّعت بين أسفار تفسّر آيات القرآن، ومعاجم تهتم بمفردات القرآن الكريم وغيرها. وعلى غرار ذلك فقد كانت النشأة الاستمولوجية للدراسة اللغوية... مصدرها القرآن الكريم، ثم يأتي بعدها الشعر وكلام العرب. فالدافع الأول والرئيس لتعلّم العربية وعلومها بالنسبة للعرب أو غيرهم من العجم الذين دخلوا إلى الإسلام هو القرآن الكريم الذي أعطى للغة العربية شأواً وعظمة عن باقي اللغات، حيث وصفها القرآن الكريم في عدّة مواضع باللسان العربي المبين، منها قوله عزّ وجلّ: «وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» سورة النحل الآية 103.

وقوله تعالى: «وَأَنَّهُ لَتَتَزِيلُ رَّبُّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. لِّبَشَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.» يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية من سورة الشعراء: «وتأمل كيف اجتمعت سورة الشعراء الآية 193-194-195. هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنّه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل اللسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين.»¹ ولم يقتصر حبّ العربية وتعلّمها في قلوب العرب من المسلمين، بل إنّه ومن الثابت في التاريخ أنّ العجم من المسلمين قد أتقنوا اللغة العربية وألقوا فيها، فنذكر على سبيل التمثيل: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (180هـ)، وأبو الفتح عثمان بن جني (392هـ)، وأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)... وغيرهم. ولقد صدق الإمام الفارابي حين قال: «القرآن كلام الله وتنزيله، فضّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويدرون، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة.»²

فباللغة يفهم القرآن وتنكشف أضواء بيانه وإعجازه، وبالقرآن تحفظ اللغة العربية حيث يعود له الفضل في أنّه لم يعتريها تحريف في رسمها ولا تغيير في نطقها. هذه الثنائية التلازمية بين القرآن الكريم واللغة العربية التي تشكّلت على مرّ العصور هي التي دفعتنا إلى الخوض في غمار هذا البحث وسبر أغوار هذا الإعجاز اللغوي المحكم، وذلك من خلال البحث في أعمال أحد الباحثين الجزائريين المحدثين وهو الأستاذ الدكتور عمار ساسي، الذي جمع بين علم اللغة العربية وبيان القرآن الكريم. فما هي أهمّ إسهاماته اللغوية في ميدان القرآن الكريم؟ وفي ضوء هذه الإشكالية تندرج أسئلة أخرى حول: أهمّ المسائل اللغوية التي درسها في القرآن الكريم، وما هو منهجه في ذلك.

1- ترجمة مختصرة للأستاذ عمار ساسي³:

هو الأستاذ الدكتور عمار ساسي من مواليد (15-09-1958) بالبلدية الجزائرية، تحصّل على شهادة البكالوريا سنة 1979 شعبة آداب، ليلتحق بجامعة الجزائر تخصص: اللغة العربية وآدابها، حيث تحصّل فيها على شهادة الليسانس سنة 1986، ثم بعدها على شهادة الماجستير: بعنوان: في إعجاز القرآن الكريم -دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام، بجامعة الجزائر، سنة 1992. واصل بعدها دراسته العليا للحصول على شهادة دكتوراه دولة في علوم اللغة العربية، بعنوان: الإعجاز البياني في الآيات المحكمات - العبادات والمعاملات، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد العيد رتيمة، بجامعة الجزائر، سنة: 1996. يعمل

الأستاذ الدكتور عمار ساسي بجامعة البليدة 2، بقسم اللغة العربية وآدابها، كما يحتلّ منصب مدير مخبر اللغة العربية وآدابها.

له العديد من الإنجازات العلمية من بينها:

- مؤسس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سعد دحلب البليدة سنة 1998.
- رئيس فرقة بحث إنجاز قاموس اللسانيات العربية بجامعة تيزي وزو سنة (1995-1997)
- رئيس فرقة بحث إنجاز معجم الصوتيات الوظيفية بجامعة البليدة (2004-2007)
- مؤسس مشروع دكتوراه (ل.م.د) في تخصص: الدراسات المعجمية وصناعة المصطلح لثلاث دفعات (2014-2015-2016)
- مؤسس مجلة الصوتيات.

- مؤسس العديد من الفعاليات والملتقيات الدولية والوطنية منها بينها:
- التراث والحداثة في اللغة والأدب، سنة (1999-2000) بجامعة البليدة 1
- الصوتيات بين التراث والحداثة، سنة (2002) بجامعة البليدة 1
- المصطلح والمصطلحية بين التراث والحداثة في العلوم الإنسانية، سنة (2004) بجامعة البليدة 1
- الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية العربية، سنة (2006)، بجامعة البليدة 1
- المعجمية العربية والفعل الترجمي، سنة (2017)، بجامعة البليدة 2.
- له العديد من الإنجازات العلمية من كتب وهي:

- المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الاستعمال، دار عالم الكتب الحديث، سنة 2008.

- منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب - دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر، دار عالم الكتب الحديث، سنة (2011)
- المدخل إلى الصوتيات تاريخا، سنة (2014)
- وجود جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، دار عالم الكتب الحديث، سنة (2014)
- قضايا أساسية في الفعل الترجمي من الفحص إلى الإجراء سنة (2016)
- مباحث في اللسانيات العربية وقضاياها الراهنة من الوصف إلى الفحص، إصدارات مخبر اللغة العربية وآدابها، سنة (2016).

- أمّا عن المقالات والمداخلات فهي كثيرة، ومن بينها:
- من الإعجاز البياني اسمية العبادة وفعالية المعاملة، من الملتقى الدولي الثاني: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، جامعة بسكرة، سنة 2009.
- الكلمة في القرآن الكريم - من عين الخصائص إلى سبيل الترجمة-، من الملتقى الدولي العاشر: ترجمة النص المقدس، بجامعة أحمد بن بلة وهران، سنة 2009.
- تعليم العربية للأجانب الطلبة الأفارقة بجامعة سعد دحلب أنموذجا، من الملتقى الدولي: تعليم العربية لأغراض خاصة، الجامعة الأردنية، سنة (2015).
- بعض ملامح التجديد في الدرس الصوتي العربي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني أنموذجا، مجلة الصوتيات، العدد 9، المجلد 1، ص 5-29.
- التحليل الصوتي في الخطاب الشعري قصيدة رثاء المدن لأبي البقاء الرندي أنموذجا، مجلة الصوتيات، العدد 10، المجلد 1، ص 4-19.

هذه كانت لمحة مختصر عن بعض إنجازات الباحث اللغوي عمار ساسي، والمتمعن في عناوين أعماله يجدها كثيرا ما هي مرتبطة بالدرس القرآني وخدمة له. وهذا ما سنحاول التركيز عليه في العنصر

الموالي. اخترنا في دراستنا هذه التركيز على مؤلف من مؤلفات الباحث، بعنوان وجود جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، وذلك لاعتبارات هي:
أوله: الصلة المباشرة مع عنوان البحث
ثانيا: يعدّ مصدر دراسته العليا فهو في الأصل كان أطروحة الدكتوراه الخاصة به
ثالثا: لأهمية الكتاب وسعة مباحثه.

2- مبدأ الربط بين الدرس اللغوي والدرس القرآني في مؤلفه:

يعدّ الأستاذ عمار ساسي من اللغويين الذين يقرّون بمبدأ الأصالة والمعاصرة في بحوثه اللغوية، ويقصد به التزام الباحث في عمله بمبدأ الأخذ من الدرس التراثي وعدم إغفاله وربطه بالدرس اللغوي الحديث. وهو في ذلك يسير على هدي أساتذته من بينهم الأستاذ جعفر دك الباب، والأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، والأستاذ محمد العيد رتيمه... وغيرهم. ولقد حاول توظيف فكره الرابط بين الأصالة والمعاصرة في البحث في أسرار القرآن الكريم حيث صرّح في نصّه أنّ: « البحث في التراث عمل كبير والبحث في القرآن أكبر والانهار بالبحث الغربي يكبر كلما كان الاهتمام بالبحث في التراث يصغر، ويكاد هذا الانهار يندم وتوشك هذه التبعة تنتهي طالما تعمق البحث في التراث العربي الأصيل بالاستمرار، إذ ساعتها تظهر الحقيقة العلمية ويتجلى حجم النتائج العلمية الغربية بحقيقته.⁴ »
واظلافا من هذا الأساس فلقد قسم الباحث عمله إلى:
دراسة نظرية تطرق فيها إلى:

● الإعجاز القرآني تاريخه- تعريفه-مقاصده.

● البيان: تعريفه-أنواعه- وسائله-حقيقته

دراسة تطبيقية عرض فيها:

الإعجاز البياني في الآيات المحكمات العبادات والمعاملات جاء مقسّما على النحو الآتي:

- جزء خاص بآيات العبادات (الطهارة، الصلاة، الصدقات، الحج)

- جزء خاص بآيات المعاملات (غض البصر وحفظ الفرج، الترغيب في النكاح، الزنا، الطلاق).

3- منهجه في مؤلفه:

اتبع الباحث المنهج الوصفي والمنهج التاريخي في عمله والذي يقصد به وصف الظاهرة اللغوية وكذا تتبع مسارها التاريخي وصولا إلى الحديث، وبالاعتماد على التحليل والتفسير في دراسة آي القرآن الكريم. وهذا ما أقرّه الأستاذ محمد العيد رتيمه في تقديمه للكتاب حيث قال: « لقد نظر الباحث في مفهومي الإعجاز والبيان فيما قيل فيهما وعنهما في تراثنا الأصيل على ثرائه وتنوّعه فلم يشع ذلك فضوله العلمي... فعاد بهما إلى القرآن مستقرّنا وباحثا، ومنقبا وفاحصا. فمستخلصا ومقررا...⁵ » فالتّمعن في كتاب الأستاذ عمار ساسي يجده يتّبع المصطلح عبر مساره التاريخي، وذلك للوقوف عبر مختلف المفاهيم والتطوّرات الدلالية الخاصّة به، قصد الوصول إلى نظرة مفهومية شاملة وفاحصة. حيث أفرد لمصطلح الإعجاز القرآني بابا مستقلاّ، بدأ بالبحث في نشأة المصطلح، إذ توّصل من خلاله إلى أنّ مصطلح الإعجاز القرآني -بنية- لم يكن موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتداوله الصحابة رضوان الله عليهم، وعلّل ذلك كما جاء في نصّه إلى « أنّ المعاني هي أسبق دائما من الألفاظ. وما الألفاظ إلا أوعية للمعاني كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني. والقرآن الكريم جديد في معانيه وألفاظه في أعين العرب جميعا وعقولهم، وهو متضمن لعقيدة جديدة وشرعية جديدة وأخلاق جديدة لم تكن العرب تعهدها من قبل، لذلك انصبت عقولهم لفهم هذه المعاني الجديدة الغريبة عنهم.⁶ »

ولقد اقترن البحث في مصطلح الإعجاز عند الأستاذ الدكتور عمار ساسي بكتب اللغة والبلاغة، لما له من صلة وطيدة في البحث في معاني القرآن الكريم، من بينها: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)، وكذا مفتاح العلوم لسراج الدين أو يعقوب يوسف السكاكي (626هـ). ويقرّ الباحث أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني كان له الفضل في دراسة الإعجاز القرآني من خلال وضعه لنظرية النظم التي تتأسّس حول توحّي معاني النحو

وأحكامه في الكلام فـ « ليس النظم في مجمل الأمر عنده إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها. »⁷ كما أنّ نظرية النظم تولي أهمية للأساس المنطقي في ترتيب معاني الكلام من خلال النحو « بحيث إذا درسنا النحو دراسة فلسفية، نجده من أشد ضروب المبتذرين عمقا لأن النحو عندما يظهر تركيب الكلام إنما يظهر تركيب الفكر، وطريقة تسلسل المقولات التي عند طريقها نفهم العالم. »⁸ وعليه فإنّ الدراسات التي سبقت الإمام عبد القاهر الجرجاني لم تخرج عن موضع التنظير ولم يوظفوا المصطلح إلا في جانبه الوصفي كما هو واضح في قول الإمام الخطابي: « واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنه بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُضمّنا أصبح المعاني، من توحيد له عزّت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته.... »⁹ وابتاعا لمنهج الإمام عبد القاهر الجرجاني واقتداء بأثره، حاول الأستاذ عمار ساسي ربط النحو بالبلاغة في دراسة الإعجاز البياني العلمي في القرآن الكريم، وهو بحسب رأيه: « الإعجاز الكامل والمتكامل والشامل والجامع بين اللفظ والمعنى والبيان والعلم في نسق بديع وربط عجيب. »¹⁰

إنّ مصطلح البيان الذي وظّفه الباحث في عنوان بحثه يختلف مفهومه عن المفهوم المعروف عند أهل البلاغة المحصور في قسم من أقسام البلاغة « يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. »¹¹ من خلال توظيف المعجاز والاستعارة والتشبيه والكناية... وإتاما للبيان في القرآن الكريم في رؤية الباحث أوسع من أن يرتبط بالبلاغة وحدها فهو في حقيقته « اسم جامع وشامل لكل ما أتى لك عن الأشياء والمعاني دقيقها وخفيها وفق سنن العرب في كلامها. وعليه فكل ما خرج عن سنن العرب في كلامها لا يعد بيانا وإن صيغ بأفصح الألفاظ. »¹² واطلاقا من هذه النظرة الواسعة لتعريف البيان يمكن القول بأنّ وسائل البيان في القرآن الكريم لا تقتصر على الجانب البلاغي وإتاما هي تتشكل عبر مجموعة من المستويات: الصوتي والإفرادي والتركيبي.

أما بخصوص اقتران توظيفه مصطلح الإعجاز البياني العلمي بصفة "العلمي"، مبرزا ذلك بقوله « لما كان البيان يمثل الجانب الشكلي في الإعجاز، والعلم يمثل الجانب المعنوي فيه، قلنا بالإعجاز البياني العلمي، وهو برأينا الإعجاز الكامل والمتكامل والشامل والجامع بين اللفظ والمعنى والبيان والعلم في نسق بديع وربط عجيب. »¹³ وبحسب رأينا فإنّ عبارة الباحث دقيقة في معناها، حيث إنّ القرآن الكريم لا يؤتى إلا من خلال لفظه فبالألفاظ تفهم المعاني وتفسر وتستخلص الحقائق العلمية وتكشف، فكلّ عبارة ومفردة وصوت فيه هو حجة وبيان وبرهان لمعرفة علمية بشتى مياديينها. كما أنّ أهمّ مبدأ وظّفه الباحث عمار ساسي في منهجه هو مبدأ رفض الترادف في القرآن الكريم، الذي يقر بأنّ آية اختلاف يحصل في المبني يتبعه اختلاف في المعنى، ذلك أنّ اللغة دقيقة في ألفاظها، ورائد هذا الاتجاه هو أحمد بن فارس في معجمه مقاييس اللغة « وابن فارس هذا هو تلميذ ثعلب. وقد أخذ برأي أستاذة حول التباين بين اسم الذات واسم الصفة، وعبارة ثعلب مشهورة (ما يطرّق من المترادفات هو من المتباينات). »¹⁴ كما أنّ الترادف النام في اللغة العلمية مرفوض، وإن وجد فهو عبارة عن خرق لنظام اللغة العلمية، والقرآن الكريم في كثير من خطابه يؤكد على حقائق ثابتة سواء كانت حقائق علمية أو عبادات وشرائع أو معاملات، أو أخبار الأمم السابقين، ومن ثمّ فهي تستدعي الخصوصية والدقة في استعمال الألفاظ وهذا ما ذهب إليه الأستاذ عمار ساسي فبحسبه فإنّ خاصيتها التدقيق والتخصيص « في اللسان العربي المبين وفي القرآن الكريم صريحتان كل الصراحة وواضحتان كل الوضوح. لذا فهما يوجبان علينا نكران ظاهرة الترادف اللغوي، وذلك حتّى تبقى اللغة الشريفة على أصلاتها ثابتة شامخة، حية وصالحة لكل زمان ومكان، إذ كل لفظ فيها خلق لمعنى وخُصّ لمقام مميز لا يستوعبه لفظ آخر مهما كان فصيحاً أو قريبا أو شبيها. »¹⁵ والأمثلة غنية في مؤلفه وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات حول دقة استعمال الألفاظ فعلى سبيل المثال دقة استعمال القرآن الكريم في آية الطهارة حيث قال عزّ وجلّ في محكم تنزيله: « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ إِلَى الْكُفَّيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » آ سورة المائدة الآية 6. ولقد تناول الباحث كلّ كلمة بدقة وبحث في معناها المعجمي، وقارنها بغيرها من المفردات ذات الدلالات المتقاربة، مستنتجا من كلّ ذلك الإعجاز البياني في توظيف كلّ مفردة لدلالة على المعنى المقصود ولو استبدلت تلك المفردة بغيرها من الألفاظ لما استقام الإعجاز يقول الأستاذ عمار

ساسبي: « ولو غير القرآن (بنهض) بدل (قام) ما استقام المعنى ، ولو عبر أيضا (بنوى) على حد قول كثير من المفسرين ما استقام المعنى المراد كذلك... وربما ظهر العجز وغاب الإعجاز أما القيام المعنوي أو الذهني فهو المراجعة له والحفظ له والعزم والدوام عليه ، وتوفيقه بشروطه وحقه... وهذا متضمن مدلول الاستقامة ، بينما (نهض) لا يقوى على أداء هذا المدلول الدقيق والشامل. »¹⁶ وعلى هذا الحال واصل الباحث في مؤلفه دراسة الفروق اللغوية بين المفردات المتقاربة كما في كلمة وضأ وغسل واعتسل حيث ورد في نضه أن مدلول وضأ « يدلّ على حسن ونظافة لا على غسل أو اغتسال. ولهذا حقيقة المدلول يعبر عنه مصطلح غسل لا وضأ ، إذ أن مراد الله من (غسل) هو تعميم الماء على العضو قصد تنظيفه وتطهيره ، لذا لم يوظف القرآن الكريم مصطلح (وضأ) ولو مرة واحدة.

وأرى أنه مجازا. ويتيسر عبر الفقهاء عن الغسل بالوضوء الأصغر ، وعن الاغتسال بالوضوء الأكبر. »¹⁷ ولقد استطاع الباحث عمار ساسي إبراز إعجاز القرآن الكريم في اختيار المفردة الدقيقة بحسب دور الزمان والمكان فبين مفردة نسك الموجودة في قوله تعالى: « وَ اتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِصَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. » سورة البقرة ، الآية 196.

ومفردة قربان الموجودة في قوله تعالى: « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » سورة المائدة ، الآية: 27 وقوله تعالى: « الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. » سورة آل عمران ، الآية: 183. فبعد وقوف الباحث عند المعنى المعجمي لكل مفردة توصل إلى أن « اختيار لفظة نسك في هذا المقام دقيق جداً ذلك أن ظرف الحج هو ظرف خاص ومتميّز وهو ظرف عبادة وتقرب إلى الله بالشعائر في زمن مخصوص ومكان محدود ، قال تعالى: « فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » ، ولما اجتمع معنى العبادة والنسيكة في الحج عبر عنهما بالنسك ، وهي لفظة لا تطلق إلا حالة تلبس الفرد بالعبادة المخصوصة في الزمن المخصوص لذلك قالوا: ناسك وأرادوا به العابد قالوا نسيكة وأرادوا بها الذبيحة... أما القربان فهو يقترب به من غير أن يكون في حالة عبادة ، بمعنى أنها مفردة عامة ، تطلق على عموم ما يقترب به إلى الله من ذبائح وغيرها... »¹⁸

والملاحظ من خلال هذه النماذج أن منهج الباحث دقيق جداً في تبيان الأسرار اللغوية للإعجاز في القرآن الكريم ، حيث نجده يتناول كلّ مفردة بالتحليل اللغوي الدقيق والسليم ، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية ومعاجم مفردات ألفاظ القرآن ، واستنباط المعنى الأصلي لكل مفردة ومن ثمّ البحث في السياق النصي للآية الكريمة ، وبيان أهمية المقصد في اختيار كلّ مفردة لدلالة محدّدة لا يمكن لغيرها من المفردات تأديتها ، وذلك تأسيساً لمبدأ عدم وجود الترادف في اللغة.

ومن نماذجه المحكمة التي تناولت مبدأ ربط النحو بالبلاغة في القرآن الكريم ، قوله تعالى: « فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ » سورة النساء ، الآية 103. والتفسير النظمي للفاء في هذه الآية يفيد « العطف والترتيب من غير مهلة وتفيد دلالة التقطيع الزمني في أداء الصلاة ، أي إذا كنت فيهم فحانت الصلاة فأقمها لهم. إذ أن شخص الرسول موجود معهم على طول الزمن في اليوم أو اليومين ، لكن الصلاة لا تقام على طول الزمن إنما في فترات منه فقط. ولو وظف القرآن (الواو) في هذا المقام ، لأفادت العطف الفوري ، وأفادت أيضاً إقامة الصلاة مع وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ثمّ تصبح إقامتها على طول الزمن ، وهذا غير معقول ، وهنا يحصل اشتغال بالصلاة عن مقاتلة العدو... »¹⁹ وعلى هذا النهج سار الباحث في تعقب كل حرف وكل كلمة وكل جملة ، والوقوف عند أسرارها النظمية التي استوجبتها السياق والمقصد من الآية الكريمة. والأمثلة كثيرة ، غير إن من نماذجها أيضاً أثر التقديم والتأخير في بلورة معاني القرآن الكريم ففي قوله تعالى: « وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ. » سورة البقرة ، الآية: 196. تقديم للحج عن العمرة ، وكذا تأخير لفظة الجلالة "الله" ، وذلك لأنّ « تقديم الحج على العمرة من

باب تقديم الأصل على الفرع والفرض على التطوع. وقوله (لله) جار ومجرور لفظ الجلالة محكم الرتبة والموقع والمعنى والمدلول وقد جاءت لتنزيل كثيراً من الدرن الذي علقه الواهمون بفريضة الحج من قصد الكسب والتجارة والرياء والسمعة والجدال والرفث والفسوق وهي أمور حصلت عبر الزمان، لذلك جاءت لفظة الجلالة (لله) لنفي الدغل على الفريضة والإشارة إلى وجوب الإخلاص، فكان تأخيرها للدلالة على معنى الإخلاص ذاته ولو قدمت لدلت على الفرض دون الإخلاص....»²⁰

خاتمة:

إنه وفي خاتمة هذا البحث الذي لا يمكن حصره في هذه الصفحات المحدودة، وإنما هو مفتوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث إن الجهود العلمية الخاصة بالقرآن الكريم لا ترتبط بزمان ولا مكان وهذه معجزة الله لعباده تبقى خالدة. لقد حاولنا من خلال هذا البحث اختيار أحد الباحثين الجزائريين المعاصرين الذين استطاعوا الربط بين الدرس اللغوي والقرآن الكريم وتوظيف معارفهم اللغوية خدمة له، ولقد توصلنا من خلال عملنا إلى مجموعة نتائج هي كالآتي:

- ثنائية الدرس اللغوي والدرس القرآني أهم عامل لكشف أسرار القرآن الكريم.
- للأستاذ عقار ساسي إنجازات عديدة خدمة للقرآن الكريم
- استطاع الباحث عقار ساسي من خلال فكره اللغوي الربط بين الأصالة والمعاصرة، فكان منهجه المتبع في دراسته يستند إلى المنهج الوصفي في وصف الظواهر اللغوية والمنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة اللغوية تاريخياً.
- لقد عوّّل الأستاذ عقار ساسي في دراسته على كتب البلاغة، ولعلّ أهمّها مؤلفات البلاغي عبد القاهر الجرجاني رائد نظرية النظم.
- لقد طبق الأستاذ الدكتور عقار ساسي مبدأ نظرية النظم القائم على توخي معاني النحو في الكلم في دراسة آيات القرآن الكريم
- يرى الباحث عقار ساسي أنّ مصطلح البيان في القرآن الكريم أوسع وأشمل من أن يقتصر على قسم من أقسام البلاغة العربية، وأنّ وسائله تشمل المستوى: الصوتي، والإفرادي، والتركيب.
- يقرّ الباحث عقار ساسي بمبدأ عدم وجود الترادف في اللغة، حيث طَبّق هذا المبدأ على مفردات القرآن الكريم مستعيناً بكتب التفسير ومعاجم ألفاظ القرآن، مستنتجاً إعجاز القرآن الكريم في دقة وخصوصية كلّ مفردة للدلالة على المعنى المقصود.

قائمة الإحالات:

- ¹- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن مُعَلّا اللويحق، دار السلام، ط2، 1422هـ-2002م، الرياض-السعودية، ص 700.
- ²- جلال الدين السيوطي، المزهَر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، 1418هـ-1998م، بيروت-لبنان، ج:2، ص: 261.
- ³- ينظر: مفضل السيرة العلمية للأستاذ الدكتور عقار ساسي. موقع مخبر اللغة العربية وآدابها، اطّلع عليه يوم: 26-03-2021، على الساعة: 09.00.
- ⁴- عقار ساسي، وجوه جديده من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، عالم الكتب الحديث، ط1، 2014، عمان-الأردن، من المقدمة.
- ⁵- عقار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، من التقديم.
- ⁶- عقار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 16.

- 7- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1998، بيروت-لبنان، ص15.
- 8- عتار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 22.
- 9- أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط 3، 1976، القاهرة-مصر، ص 27.
- 10- عتار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 62.
- 11- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب اللبناني، 1971، بيروت لبنان، ص 326.
- 12- عتار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 216.
- 13- نفسه، ص 62.
- 14- عتار ساسي، نظرة لغوية في إشكالية الترادف بين القدامى والمحدثين، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مج: 11، عدد: 1، الجزائر، 1998، ص 152.
- 15- عتار ساسي، نظرة لغوية في إشكالية الترادف بين القدامى والمحدثين، ص 160.
- 16- عتار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 230.
- 17- عتار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 233.
- 18- المرجع نفسه، ص 345.
- 19- عتار ساسي، وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ص 285.
- 20- المرجع نفسه ص 364.

قائمة المصادر:

- 1- عتار ساسي، وجوه جديده من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات، عالم الكتب الحديث، ط1، 2014، عمان-الأردن.

قائمة المراجع:

- 1- جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، 1418هـ-1998م، بيروت-لبنان، ج:2.
- 2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب اللبناني، 1971، بيروت لبنان.
- 3- أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط 3، 1976، القاهرة-مصر.
- 4- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن مغلّ اللويحق، دار السلام، ط2، 1422هـ-2002م، الرياض-السعودية.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1998، بيروت-لبنان.

المقالات:

- 1- عتار ساسي، نظرة لغوية في إشكالية الترادف بين القدامى والمحدثين، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مج: 11، عدد: 1، الجزائر، 1998.